المجد للجيش.. والعار لمرسى

«زيطة مرسى» مع عودة الجنود المخطوفين لم تنجح فى التغطية على مغزى ما جرى ويجرى، فقد كشفت وقائع «الخيانة العظمى» بالمعنى الدستورى، وبأكثر مما زادت شعبية مرسى لبضع ساعات، تبخر بعدها الوهم، وجاءت الفكرة بعد السكرة، وبدت القصة كلها كفيلم هندى ردئ الصنع. مع بداية الأزمة، واختطاف الجنود، دعا مرسى الأحزاب إلى لقاء معه، وتصور البعض أنه يتصرف بما يليق، ويمد حبال التشاور فى أزمة وطنية، ولام البعض أحزابًا أعرضت عن دعوة مرسى لفقدانها الثقة فيه.

ثم جاءت وقائع الاجتماع نفسه لتكشف الخيبة بالويبة، فلم يحدث أى نقاش حول إدارة الأزمة، بل انصرف مرسى إلى حديث ممجوج عن زيادة إنتاج القمح هذا العام، وكرر دعواه الركيكة عن زيادة الإنتاج بنسبة ثلاثين بالمئة، ثم ألحق الدعوى الركيكة بكلام عن زيادة إنتاجية الفدان من عشرة أرادب إلى عشرين أردبًا، ولم يلحظ مرسى - فى نوبة الهطل الحسابى - أن الجملة الثانية تفضح كذب الأولى، فزيادة إنتاجية الفدان إلى الضعف تعنى زيادة الإنتاج الكلى بنسبة مئة بالمئة، وليس ثلاثين بالمئة، لم يلحظ مرسى هطله الحسابى، فهكذا خلقه الله، ولله فى خلقه شؤون، ثم كان الأعجب فيما أشاروا به عليه، وضمير الجماعة هنا يشير إلى أهله وعشيرته ممن حضروا الاجتماع الهزلى، فقد تحدث أحدهم - وهو داعية تليفزيونى - عن «الشعب السيناوى»، وكرر التعبير الرديء لخمس مرات على الأقل، ولم يعقب مرسى على التعبير الانفصالى، وكأنه يقبله، ثم زادت بلة الطين مع كلام رجل أعمال قبطى يترأس واحدًا من أحزاب الأهل والعشيرة، وبدا «البيزنسى» القبطى مهمومًا بشأن آخر، بعيد تمامًا عن قضية خطف الجنود،

وراغبًا فى تحويل سيناء إلى منطقة استثمارية حرة، ودار الكلام بعده على ذات الطريقة الكوميدية السوداء، والتى نافست فى هطلها السياسى بيان مرسى الأول عن عملية الخطف، والذى طالب بحماية حياة «الخاطفين» (!)، وعلى طريقة يكاد المريب يقول: خذونى (!).

وفى مطار ألماظة العسكرى، بدا مرسى فى حالة تطفل سياسى على جهد الجيش والمخابرات الحربية، وهو الجهد الذى أعاد الجنود المخطوفين، وبعملية سرية، كان مرسى على ما يبدو آخر من علم بها، وحاول مرسى التغطية على خيبته بالتودد البدائى إلى الجيش والمخابرات وأجهزة الأمن، وحوّل اللقاء إلى ما يشبه عادة «المشوبشة» فى الأفراح القروية، وذكر كل جنرال باسمه، بينما بدا الجنرالات فى حالة صمت متحفظ، فلم يفتر ثغر أحدهم بابتسامة امتنان لكلام مرسى الركيك، فهم يعرفون القصة من أولها إلى آخرها، ولا يريدون لجهدهم الوطنى أن يتحول إلى بضاعة زيف تحسب لمرسى، ولا يقبلون وجوه الخداع الصغيرة والمناورات المكشوفة، وهم فى حرب حقيقية دفاعًا عن الوجود المصرى وكرامة الدولة المصرية، ويعرفون أن القصة أبعد من خطف جنود فى سيناء، وأبعد من تعمد إهانة الجيش وقيادته الوطنية، وهو ما بدا فى الفيديو المهين الذى أعده أولاد عمومة مرسى سياسيًا من الإرهابيين، والذى أرغم فيه الجنود المخطوفون على التوجه لمرسى بطريقة «الحقنا يا ريس»، بينما بدت الإشارة فى الفيديو المهين إلى الفريق أول عبد الفتاح السيسى بطريقة مختلفة وتمامًا، خالية تمامًا من أى احترام، ومليئة بمعانى الإهانة على طريقة «السيسى قاعد على الكرسى»، وفى توقيت تسجيل وبث الفيديو المهين نفسه، ظهر على صفحة حزب الإخوان فيديو آخر بذات المعنى المهين، وكتبوا له عنوانًا يخالف مضمونه تمامًا، كان المضمون: مجرد تصريحات وطنية معروفة للفريق السيسى، بينما العنوان يقول «تصريحات السيسى التى تسببت فى خطف الجنود»، وبعدها جرت المناورة المكشوفة فى السلوك الإخوانى الكذوب، فقد أزالوا الفيديو بعنوانه

المهين للسيسى، وقالوا إن ما جرى مجرد خطأ غير مقصود، بينما كانت قيادة الجيش تتصرف بطريقة غاية فى الرصانة والاحتراف، فقد امتنعت تمامًا عن الإدلاء بأى تصريحات، وانهمكت تمامًا فى عمل وطنى يتصدى للخيانة، واكتفت فى لحظة الحسم بتصريح مزلزل جرت نسبته إلى «أدمن» صفحة المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وتوعد بحرب مزلزلة تقضى على الأخضر واليابس، كانت القوات قد أكملت انتشارها السريع فى شرق سيناء، وكانت المخابرات الحربية قد أكملت خطة التمويه المحترفة، وأوحت باتجاه رأس الحربة شمالًا، بينما كانت قوات خاصة تتحرك إلى وسط سيناء، وهو ما انتهى إلى نصف نجاح باستعادة المخطوفين دون إراقة دماء، ثم تواصل الجهد المقتدر لتحقيق نصف النجاح الآخر، وهو اعتقال الخاطفين التسعة وتصفية أوكار جيوش الإرهاب فى شرق سيناء، وهو ما لا يريده مرسى، والذى يريد إغلاق الملف كما جرى من قبل، والعودة إلى سلوك الخيانة إياه، حين أمر بوقف العملية العسكرية «نسر»، عقب قتل الجنود الستة عشر، فهو يريد الحفاظ على سلامة رعاة الخاطفين، ويعرف أن مواصلة الجيش لعملياته ربما تنتهى إلى تطويقه شخصيًا، فالخطر أكبر من مجرد اختطاف جنود، وأكبر من عملية مدبرة لاختطاف سيناء نفسها، بل يمتد فى جوهره إلى عملية شاملة لاختطاف مصر، يتورط فيها مرسى بوضوح، وبرعاية مكتب الإرشاد الساكن فى كهف المقطم، وبخطوط دعم موصولة إلى كفلاء إقليميين يعملون فى خدمة إسرائيل، ويدفعون النفقات بالوكالة عن الخزانة الأمريكية.

ونعرف أن قطاعات من الرأى العام تنظر إلى القصة كلها كفيلم هندى ردئ الصنع، وهو انطباع مصدره فقدان الثقة كليًا فى مرسى وجماعته، لكنه يبدو انطباعًا خطرًا من زاوية أخرى، فهو يظلم جهد الجيش وإخلاصه واحترافه وقيادته الوطنية، ثم صمته المفهوم عن آثام مرسى، وحرص قيادة الجيش على تجنب الوقوع فى الفخاخ المنصوبة، فهو يدير حربًا وطنية عادلة من طراز فريد،

وتتولى قيادته عملية إعادة بناء كاملة للجيش، وتبلور عقيدته الوطنية فى سياق سياسى معاكس، فمرسى ليس فى موقع القيادة السياسية التى يعتد بها، ووضعه كقائد أعلى للقوات المسلحة مجرد اعتبار بروتوكولى، ولا يصح فى حال رجل مثله أن يؤتمن على مصير بلد بحجم ومكانة مصر، فهو ينتمى إلى جماعة «طظ فى مصر»، ويأتمر بأوامرها، ويكيد إلى سلامة مصر وقيادات الجيش، وهو ما يبدو أن قيادة الجيش تدركه تمامًا، وتقف بالمرصاد لمؤامرات اقتطاع سيناء ومنطقة قناة السويس كلها، ونزع السيادة الوطنية عنها، وهنا يتصرف الجيش بوعى وطنى ظاهر، لا يقحم نفسه فى يوميات السياسة المباشرة، ويترك المهمة للشعب وقواه الحية، ويواصل مهمته الأعلى فى حفظ الوجود المصرى، والتصدى الحازم لخطط ومؤامرات إنهاكه وتدمير هيبته، وهو ما يلزم معه التمييز بين دور مرسى ودور قيادة الجيش، وتجنب خلط الأوراق فى هذه اللحظة الحرجة، وتوجيه التحية للسلاح الذى يحرر مصر من قيودها الموروثة منذ عقد معاهدة العار المعروفة باسم معاهدة السلام، ويستعيد سيطرة سلاحنا على سيناء حتى الحدود الدولية، فالمجد للجيش الذى يستعيد «جيشيته» بأوفى المعانى، والعار لمرسى وجماعته المتآمرة على الوطنية المصرية وجيشها لعظيم.

"صوت الأمة " فى ٢٧ من مايو٢٠١٣